

المؤرخ أحمد توفيق المدني
ومذكراته "حياة كفاح"

~~~~~. حاج عبد القادر يخلف\*

مقدمة: ولد الأستاذ أحمد توفيق المدني ثائرا، وعاش مناضلا سياسيا، وكرس جل حياته لخدمة وطنه، متسلحا بالعلم وسيلة، للدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية (الإسلام-العروبة-الوطنية الصادقة). وكان صاحب سبق إعلامي بما نشره من مقالات صحفية، وبما كتبه من مؤلفات تاريخية جلية، عرفت الخاص والعام بالجزائر أيام العسر الاستعماري. ومن هذه الأعمال مذكراته (حياة كفاح)، التي سنتناولها بالدراسة في هذه المداخلة.

المولد والوسط العلمي: شاعت الأقدار أن تهجر أسرة أحمد توفيق المدني القبلي الغرناطي أرض الوطن، عقب إخماد الاستعمار الفرنسي لمقاومة المقراني سنة 1871، فولد بتونس في الفاتح من نوفمبر سنة 1899، من أبوين جزائريين هما: عائشة بويزار ومحمد المدني الذي كان به بقية من كبار علماء الجزائر، وكان جدّه لأبيه أمين الأمناء أي شيخ بلدية الجزائر العاصمة<sup>1</sup>. وفي تونس زاول مسيرته التعليمية من الكتاب إلى سنة 1913، حيث دخل جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، ليستكمل ما تعلّمه بالمدرسة القرآنية الأهلية، فيما يتعلق بالرياضيات والتاريخ العام، وتخرّج منها بمواهب جبارة برزت بخاصة في الكتابة الصحفية، وفي فنّ التأليف التاريخي، الذي ينسجم مع شخصيته السياسية الثائرة.

شيوخه وتلاميذه: يحدّثنا المدني عن شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم في الخلدونية، فيذكر لنا الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أستاذه في التاريخ، وفي جامع الزيتونة يذكر عددا من جلة أساتذته منهم: الشيخ النخلي في التفسير، والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، والشيخ الصادق النيفر في الفقه، والشيخ محمد بن القاضي في النحو والصرف، والشيخ محمد بن شعبان في المنطق والفلسفة، والشيخ معاوية التميمي في آداب اللغة العربية. ويذكر

\* - أستاذ بالتعليم المتوسط - مادة العلوم الاجتماعية، وأستاذ مستخلف بقسم التاريخ-جامعة وهران.

أنّه كان يقضي عشر ساعات من يومه في الدراسة تستمر من صلاة الصبح إلى ما بعد صلاة العشاء يتخلّلها حفظ مختلف المتن<sup>2</sup>.

وإذا كان شيوخه كثر فإنّ تلامذته لا تكاد تحصي منهم أحدا، إذا ما أخذنا في الحسبان التدريس كوظيفة تستوجب وجود الشيخ لحضور التلاميذ الذين يأخذون عنه، فهو لم يشتغل في حقل التدريس خلال حياته المهنية، ورغم ذلك فهو من أعمدة التاريخ والمؤرخين في الجزائر، ولئن لم يكن له تلاميذ فعليين تلقوا عنه، فما من شك أنّ هناك الكثير ممّن قرأ عليه من خلال قراءة مصنفاته وتأثر بملكته في الكتابة وصدق أخباره وروحه الوطنية التي جسدها في مجمل أعماله.

أصدقاؤه: إنّ صداقات الرّجل لا يمكن حصرها باعتبار أنّه عاش في تونس واختلط خاصّة بالوطنيين والإصلاحيين وأصحاب القلم، فكان له حظ وافر من الأصدقاء، ثمّ دخل الجزائر وطاف بها، فما من شكّ أنّه كان له بكلّ مدينة حلّ بها أصدقاء، ولما دعاه الواجب إلى تمثيل الجزائر في الوفد الخارجي وبحكم منصبه أصبحت له صداقات في كلّ الدول التي تنقّل إليها وقام بزيارتها، إلّا أنّ جلّ هذه الصداقات كانت ذات صلة بالعمل، أمّا العلاقات الحقيقية والحميمة فهي تلك التي كانت تجمعهم بمن عاصره من الأصدقاء والإخوان، ويخبرنا عن بعض هؤلاء، ممّن جمعتهم بهم علاقة متينة في جمعية العلماء، جعلتهم يستمحمونه عرفانا بنضاله في إقامة حفل، بمناسبة مرور ثلاثين سنة على عودته إلى أرض الوطن، وكان ذلك خلال شهر يونيو من سنة 1955، فقام كلّ منهم بإلقاء قصيدة بهذه المناسبة، وكانت القصائد من المرحوم عبد الكريم العقون وأمير الشعراء أحمد سحنون، وقصيد شاعر الثورة مفدي زكريا، وقصيد شاعر الوطنية والعاطفة والإحساس أبو القاسم سعد الله<sup>3</sup>.

نشاطه السياسي: كان للرجل حضور سياسي قويّ في تونس، حيث أذى نشاطه المبكر ضمن لجنة صغار الثوار التونسيين التي كانت تخطّط للكفاح المسلّح لاستقلال تونس إلى تعرّضه للسجن منذ سنة 1915 حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، ولم يثبّطه ذلك عن مواصلة نضاله السياسي ممّا سبّب له الإبعاد والعودة إلى وطنه الأمّ في 5 جويلية 1925، حيث سيواصل نشاطه في نادي الترقّي ثم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أصبح أمينها العام ورئيس تحرير جريدتها البصائر لسان حالها إلى غاية سنة 1956، وفي نفس السنة عين عضوا في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، ثم وزيرا للشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة

الأولى سنة 1958، وتقلّد بعد الاستقلال عدّة مناصب سياسية منها منصب سفير فوق العادة مفوض في ثلاثة عواصم هي: بغداد وطهران ثم أنقرة، وفي سنة 1969 عيّن على رأس وزارة الشؤون الدينية، ثم أعيد سنة 1970 إلى السفارة بإسلام أباد، وفي سنة 1972 التحق بالمركز الوطني للدراسات التاريخية<sup>4</sup>.

مؤلفاته التاريخية: ترك أحمد توفيق المدني بعد وفاته في 18 أكتوبر 1983-رحمه الله- سجلاً حافلاً من المؤلفات التاريخية أبرزها ما يلي: "تقويم المنصور" الذي اقترح به باب التأليف المنظم، وقد أصدره سنة 1922 ويقع في 320 صفحة، ويشمل أبواباً من العلوم والفنون والآداب والسياسة والتاريخ والجغرافية، وأتبعه بالجزء الثاني سنة 1923 والثالث سنة 1924 والرابع سنة 1925<sup>5</sup>، ثم تلاه الجزء الخامس في أوائل سنة 1930<sup>6</sup>. وأردف ذلك بتأليفه لـ "كتاب الجزائر" الذي يقع في 408 صفحة<sup>7</sup>، سجّل فيه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى سنة 1930، وعرف فيه بتاريخ وطبيعة الجزائر وعناصر سكانها ونظمها وقوانينها وحالتها الأدبية وقوتها الاقتصادية، وقد صدر هذا الكتاب سنة 1931 وأعيد طبعه سنة 1984<sup>8</sup>. وقدّم بعده كتاب "هذه هي الجزائر" الذي يقع في 247 صفحة، للتعريف بالجزائر أرضاً وشعباً وتاريخاً وثورة<sup>9</sup>. وأعقبه بكتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1791/1766"، الذي تناول فيه السيرة الذاتية لشخصية الرّجل وحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامّة في عهده، وقد صدرت طبعته الأولى عن المكتبة المصرية بالقاهرة سنة 1937<sup>10</sup>. وأتبعه بكتاب يقع في 280 صفحة تحت عنوان "المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا"، الذي ذكر أنّه "اجتهد فيه بحثاً واستقراء عن تاريخ صقلية الإسلامية، متوسعا في ذلك حسبما أمكنه أن يحصل عليه من مختلف الوثائق والمعلومات وبين طيّات ما وصل إليه من كتب عربية وإفريقية"<sup>11</sup>. كما قدّم سنة 1948 كتاب "جغرافية القطر الجزائري" فكان أول كتاب عربي عن جغرافية الشعب الجزائري، الذي وصف فيه الجزائر طبيعياً وسياسياً واقتصادياً<sup>12</sup>. وألّف بعد ذلك "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزّهار نقيب أشرف الجزائر" (تحقيق في سلسلة ذخائر المغرب العربي)، الذي يعتبر وثيقة جديدة صادقة، في سجل التاريخ العثماني الطويل بالجزائر<sup>13</sup>، وهو يقع في 196 صفحة. ثمّ ألّف عقبه كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792"، وضمّنه الكثير من الوثائق عشر عليها في مدريد وتوبكاي<sup>14</sup> باسطنبول

قام بدراستها لاستخراج الحقائق الناصعة من بينها، وتحطيم ما انطوت عليه من كذب وبهتان ليستخلص في النهاية كتابا يقع في 508 صفحة<sup>15</sup>.

وأما كتابه "حياة كفاح (مذكرات)"، فهو يقع في 1386 صفحة، وقد قسّمه إلى ثلاثة أجزاء، فهو يغطّي في قسمه الأول الفترة الممتدة من 1905 إلى 1925، وأكثر ما جاء فيه نشاطه السياسي بتونس إلى إبعاده عنها، إلى جانب ما كان يجري في القطر التونسي الشقيق من أحداث سياسية خلال الفترة المذكورة، أما القسم الثاني فهو خاص بالفترة من 1925 إلى 1954، أين جسّد فيه على وجه الخصوص الفكر الإصلاحي في معترك نضال الحركة الوطنية، بينما تعرّض في القسم الثالث إلى مرحلة الثورة التحريرية من 1954 إلى 1962، وأهم ما انطوت عليه من أحداث.

وكان ينوي إضافة جزء رابع عن جزائر ما بعد الاستقلال لولا أنّ المنية عاجلته، ويذكر نجله محمد إسلام أنّ هذا الجزء تحت عنوان "ردّ أديب على حملة أكاذيب"، وفيه إفادات غير منشورة<sup>16</sup>. وقد جمع مقالات والده في كتاب بعنوان: "أبطال ورجال"، نشر ضمن السلسلة الجديدة مع مجموعة كتبه التي لم تنشر من قبل وهي: "طريق أصيل"، "اصطلاحات"، "آراء وأفكار"<sup>17</sup>.

ثقافته: إنّ أحمد توفيق المدني يملك من الثقافة زادا كبيرا يجعله في مصاف كبار المؤرخين خلال عصره، فقد تفوّق على نظرائه وظهر ذلك جلياً منذ أوّل عهد له بالدراسة في المدرسة القرآنية الأهلية، حيث كان خطيب المدرسة وكتبتها المبرز<sup>18</sup>، فقد تلقى بعمق واتساع العلوم الشرعية واللغوية والتاريخ والرياضيات، كما كان له حظ من اللغة الفرنسية، صقلته أيام السجن، ويحدثنا عن نفسه عندما كان ممتطيا القطار في أحداث 8 ماي 1945، وهو بين أربعة أوريبيين، منهمكا في قراءة جريدة ECHO D'ALGER، وأتّه سمع ما حدث في الصباح الرهيب بسطيف وما حواليا من أحد المستعمرين<sup>19</sup>. ثم إنّه يتكلّم عن فرحات عبّاس قبل أن يلتقي به من خلال ما كتبه عن الاستعمار الفرنسي، فيصفه بـ: "الرجل الذي أقضّ مضاجع الاستعمار بكتابات الحارة وبأسلوبه البليغ". وهو ما يعني أنّه قرأ ما كتبه فرحات ليصدر بشأنه هذا الحكم، وبعد أن التقى به في حوار شيق بينهما، وتبادلا أطراف الحديث حول قناعة كل منهما، وتوجه حركته وطريقته في مواجهة الاستعمار، كانت نقطة الخلاف بينهما فكرة "الجزائر قطعة من فرنسا" في نظر فرحات عبّاس، أمّا المدني فكان يعتبر ذلك من سابع المستحيالات، ويتشبّث

قناعة بأن الجزائر ليست فرنسا، ويذكر لنا هذا الأخير أنّ الحوار الذي جرى بينهما كان بلسان فرنسي فصيح لأنّ فرحات عباس لم يكن يتكلّم العربية إطلاقاً<sup>20</sup>. ورغم معرفة أحمد توفيق المدني بلغة القوم أي الفرنسية فإنّ ثقافته كانت ثقافة عربية إسلامية بحكم تكوينه وتشبّعه بالأفكار الدينية، التي يعود الفضل فيها لبذرة رجال الإصلاح في العالم الإسلامي خلال هذه الفترة مشرقاً ومغرباً.

منهج في التأريخ: اتبع المؤلّف في كتابته التاريخية منهج الكتابة بحسب الأحداث والمواضيع، بحيث لا يسبق عنده التاريخ لذكر الحادث المرتبط به، إلّا أنّه غالباً ما يرتب المواضيع في شكل عناوين ويخضعها إلى الترتيب الكرونولوجي، الذي يوافق المنهج المتبع في كتابة التاريخ حسب السنين. فترتيبه لأجزاء مذكراته من الجزء الأوّل إلى الجزء الثالث يتدرّج فيه من محطته الأولى بتونس من مولده إلى إخراجها منها سنة 1925، ليحطّ الرّحال بموطنه الأصلي، ويبدأ من حيث انتهى مرحلة جديدة تنتهي عند عتبة الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر سنة 1954، ويواصل بعد ذلك المرحلة الثالثة من اندلاع الثورة إلى استقلال الجزائر في 5 جويلية سنة 1962. ومما تقدّم يتضح لنا أنّ التسلسل الزمني يساير أجزاء مذكراته بشكل تصاعدي، وفي نفس الوقت فإنّه يتماشى سويّاً مع مراحل حياة صاحب المذكرات.

مصادره في مذكراته: أمّا مصادره في كتابة مذكراته فهي كما يقول عنها بنفسه: "لقد قدّمت ما كتبه في مذكراتي بكلّ صدق ونزاهة، بجميع ما في الواقعية والإخلاص من مفهوم دقيق، ما رأيته وما سمعته وتأكدت من صحته، وما علمته وما شاركت بضلع وافر في عمله، خلال سبعين سنة، أي من سنة 1907 إلى سنة 1977"<sup>21</sup>. فقد كان طرفاً فاعلاً في الحزب الحرّ الدستوري التونسي، وعضواً بارزاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ناهيك عن المنصب الذي كان يشغله في الوفد الخارجي الجزائري منذ سنة 1956 إلى سنة 1962، بحيث سمح له هذا المسار الحافل بالنضال السياسي أن يجمع قدراً كبيراً من الوثائق الرسمية في تعامله مع مختلف القضايا التي كان حاضراً فيها.

مكانته مؤرخاً: إنّ مكانة أحمد توفيق المدني كمؤرّخ لا ينكرها إلّا مجحف، وما تلك المجموعة من الإصدارات التي أخرجها إلى الوجود في عالم الكتابة التاريخية إلّا دليل حي وقاطع على جلال أعماله، التي أضافت إلى المكتبة الوطنية والعربية عناوين جديدة تعرّف بما كتبه الرجل، وتؤكد سبقه في هذا الميدان كأحد عمالقة الكتابة التاريخية في الجزائر المعاصرة.

خصائص كتابته التاريخية: يتمتع المدني بموهبة أدبية خلاقة، وخيال واسع، وقلم نفيس، ناهيك عن إلمامه العميق بأصول الثقافة العربية الإسلامية، وهو ما جعل خصائص كتابته أقرب إلى أسلوب العصر الإسلامي الوسيط الذي يبدو فيه الإبداع في الكلمة والعبارة والنص ككل، ومن ذلك مثلاً قوله في العدد 311 من البصائر الذي كان تحت عنوان الاعتراف الخطير: "وسيجيء يوم ليس ببعيد، تنتهي فيه هذه المحن وينشق فيه نور الصبح الأبلج ويحمد القوم السرى، وإنّ غدا لناظره قريب"<sup>22</sup>. فلغته رفيعة المستوى وأسلوبه تطفئ عليه مرجعيته الفكرية الصادرة عن تكوين ديني، نستخلصه فيما كان يصفه أو يستدلّ به من حين لآخر على ما يسوق إلينا من أحداث ووقائع أو حتى تعريفه بالشخصيات، إنّه الأسلوب القرآني الذي يأتي في مقدّمة ما كان يدعم به فكرته. فقد يأتي بالآية الصريحة المطابقة لما يتحدّث في نطاقه، وقد يأتي بتعبير قرآني ضمني للدلالة على أمر معيّن، ونلمس ذلك على سبيل المثال لا الحصر في الكثير من عناوينه، ومنها مثلاً: مقال نشره بعنوان "ظلمات بعضها فوق بعض"<sup>23</sup> وآخر تحت عنوان "أليس فيكم رجل رشيد"<sup>24</sup>.

ويأتي الشعر في الدرجة الثانية ممّا كان يستدلّ به كلّما دعت الضرورة إلى ذلك في سياق الكلام، فهو يحفظ الكثير من الأشعار وهو نفسه كان شاعراً وكانت أول قصائده عن أيّام سجنه بتونس وهي تتألّف من تسعة أبيات مطلعها:

دأب الزمان اذابة الأحرار ورعاية الأوغاد والأشوار

حتى إذا ما قام منهم سالك سبل الرشاد يبوء بالإكدار<sup>25</sup>

وللمدني قصائد أخرى طويلة منها تلك التي ألقاها بمناسبة افتتاح جمعية الفلاح وهي تحتوي على تسعة وثلاثين بيتاً، وأخرى ألقاها بمناسبة حفل الشبيبة الإسلامية وتتألّف من سبعة وثلاثين بيتاً، وجادت قريحته في العام الموالي بنفس المناسبة بقصيدة من سبعة وثلاثين بيتاً كذلك<sup>26</sup>. وإذا كان يطغى على أسلوبه الاستدلال بالقرآن فإنّه قلّما يستشهد بالحديث النبوي، كقوله "أمّا بقية الجماعة- وهو يتحدّث عن الانقسام الذي كانت تعرفه الحركة التونسية حينئذ- فهم في نظري على حدّ قوله صلّى الله عليه وسلّم: [أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً]<sup>27</sup>.

إنّ معرفة الرّجل باللغة العربية وبلسان العرب على اختلاف مناطقهم تؤكد أنّه عربي حتى النخاع، وهو ما جعله يتقن اختيار الألفاظ، فلا غرابة أن نجده بين صفحتين متتابعتين من

مذكراته يذكر كلمة "الطيارات" ثم يعود في الصفحة الموالية فيذكر نفس الكلمة ولكن هذه المرة بـ: "الطائرات"<sup>28</sup>. وفضلا عن هذا وذاك فإنّ المدني كان ابن بيئته وعلى علم بالأمثلة الشعبية المستعملة عندنا بين عامّة الناس في الثقافة الشعبية، ومن ذلك مثلا عنوانه التالي: "حجّ وحاجة"<sup>29</sup>، وعبارة "بقر الله في زرع الله"<sup>30</sup>، التي يعلّق عليها بقوله: كما يقولون عندنا.

عقيدته وآراؤه السياسية: لم يكن أحمد توفيق المدني صاحب نظرة حزبية ضيقة، رغم إخلاصه لجهة التحرير الوطني التي كان يعمل سياسيا ضمن إطارها أثناء الثورة وبعدها، ذلك أنّه كان يؤمن بعقيدة سياسية واحدة اسمها الوطنية الجزائرية، ذات الأبعاد العربية الإسلامية، فكانت آراؤه السياسية تسير في هذا المنحى لخدمة ما آمن به، ومن أجله ناضل طيلة حياته لفترة تجاوزت السبعين عاما.

تعامله مع من كتب عنهم: يتعامل المدني مع الشخصيات التي يكتب عنها بدون تنزيه ولا وقوع في الأعراض مبتعدا عن الثلب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فهو يرى "أنّ المؤرّخ يجب أن يقف من الحوادث ومن الرجال ومن المجتمع موقف الملاحظ المسجّل النزيه، الذي لا يراعي في كتابته صداقة ولا أخوة ولا عاطفة ولا مصلحة، بل يجب أن يخترق حجب الأعماق، ويجب حتما أن يذكر الوقائع أو الأوصاف كما شاهدها، وكما اقتنعت نفسه بصحتها، إنّهُ المصوّر الذي يجهد نفسه لأخذ الاتجاه المناسب، حتى يضع ضمن غلبة التصوير رسما حقيقيا ناصعا ناطقا معبرا، يحفظ للمستقبل حقائق الحاضر بما لها وما عليها، وهو يعتقد أنّه قام بهذا الواجب حق القيام"<sup>31</sup>.

حياة كفاح (مذكرات): يعتبر مؤلفه هذا من أهمّ ما ألف من كتب تاريخية، باعتباره مصدرا في غاية الأهمية من تاريخ الجزائر ما بين 1905 و1962، نظرا لما احتواه من روايات للأحداث وشهادات حيّة ووثائق حقيقية لا يمكن الاستغناء عنها للباحث والدّارس من أهل الاختصاص على حدّ سواء، باعتبار صاحبها شاهد عيان على العصر وأحد صانعي أحداثه.

ويذكر صاحب التّأليف قيد الدراسة أنّ مؤلّفه هذا "يصوّر جزئيات من حياة المجتمعين التونسي والجزائري بصفة محايدة، وأنّه يتكلّم عن الحوادث في تسلسلها الطبيعي، دون محاولة تحسين أو تقييح، وأنّه ما تكلّم خلال ذلك عن أيّ رجل بمدح أو بقدر، إلّا بعد أن اختلط به وعجم عوده وسبر أغوار نفسه، دون تحيّر ودون دفاع ولا هجوم، فهو يقدّم لنا

مذكراته شهادة حق وصدق واقتناع، سجّلها ساعة وقوع حوادثها، بعد فحصه واختباره للرجال الذين سجّلوا أسماءهم فوق حليتها"<sup>32</sup>.

الجزء الأول: يَصوّر لنا فيه المجتمع التونسي مطلع القرن العشرين، ومكابدته للاستعمار الفرنسي وتسلب المستوطنين الأوربيين، الذين ملكوا الأرض وجعلوا أهلها أذلة، ولمّا بلغ الاحتقار أشدّه ردّ عليهم أبطال تونس ومنهم: عبد العزيز الثعالبي، وعلي باشا حامية، والبشير صفر، وعلي بوشوشة، والجزائري الفحل عبد الرحمن الصنادلي، الذي قال بصراحة مدوية في أوّل عهد جريدة الزهرة: "وماذا استفادت تونس من وجود الحكم الفرنسي بالبلاد، إلّا إباحة الخمر، وتعميم ديار الفجور"<sup>33</sup>. ويتحدث المؤلف عن دفعات الخريجين من جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، ودورهما في بعث شعلة النهضة التي فجّرت حادثة الزلّاج، التي كانت معركة ضدّ ظلم الاستعمار وطغيانه<sup>34</sup>، وتدعّمت هذه الحادثة بإضراب المواطنين عن استعمال وسائل النقل العمومي، فتوجّس الاستعمار خوفا من بروز حركة ثورية مناهضة للاحتلال، فقابل ذلك بالعنف وإبعاد الزعماء وتعطيل الصحف والمجلّات التونسية<sup>35</sup>.

ويحدّثنا المدني عن نفسه عند قيام الحرب العالمية الأولى، كيف حاول أن يكون طرفا في مؤامرة حيكت لضرب الاستعمار، غير أنّ هذا الأخير تفضّن لذلك فباعت المحاولة بالفشل، وسبق المدني إلى سجن تونس المدني، ليقضي في زنزانه انفرادية حوالي أربع سنوات حيث التقى بالزعماء، وكان في الطليعة مع الرعيل الأوّل الذين أسّسوا الحزب الحرّ الدستوري التونسي، وأصبح فيه أمينا عامّا مساعدا مكلفا بالقلم العربي ضمن اللجنة التنفيذية للحزب عضوا عاملا<sup>36</sup>، منذ منتصف ماي 1920، فكان النضال باللسان والقلم والعمل الثوري الجريء، الذي واجهه الاستعمار بكلّ شراسة للقضاء على الحركة الوطنية التونسية الناشئة، والتخلّص من النخبة التي أخذت تظهر للوجود، وترسّخ أفكارها في نفوس الشعب التونسي، للقيام بواجبه الديني والوطني تجاه الأرض والعرض والمقدّسات.

ولمّا وقع الخلاف الذي ساهم الاستعمار بشكل كبير في إذكاء ناره<sup>37</sup>، كان رابع أربعة في الوفد التونسي الثالث الذي سافر إلى باريس<sup>38</sup>، وقد دوّن كلّ ما حدث حفظا للتاريخ من الضياع، وواصل كفاحه خدمة لتونس إلى أن ضاق الاستعمار به ذرعا فطرده من تونس، وسلّمه إلى محافظ شرطة عتّابة<sup>39</sup>.

ويرى الدكتور بشير التليلي أنّ الجزء الأول من مذكرات أحمد توفيق المدني أسهم في الإجابة عن عدّة علامات استفهام، وشارك في سدّ فجوات في تاريخ تونس ما بعد الحرب العالمية الأولى في سنوات ما بين 1905 و1925، فهو يمدّنا بوثائق استثنائية لم تنشر من قبل، ويصف لنا الأحداث كما عاشها رأي العين، فيما كان يجري من نشاطات الدستوريين والإصلاحيين، وشخصيات هذا العصر بتونس. ويضيف قائلا: "إنّ هذا النوع من التأليف جدّ سخي بالمعلومات بالنسبة للمؤرّخ، لأنّه يطلّعنا على عدّة مسائل إسلامية متوسطة، خلال الفترة وتأثيرها على تونس. فهو يصف لنا أحداثا كالحرب الإيطالية التركية في طرابلس الغرب، والنشاطات الصهيونية بتونس، فضلا عن المؤتمر العربي الأول في باريس، والدستور العثماني لسنة 1908، وعن العلاقات بين الإصلاحيين الجزائريين والتونسيين وهلم جرا.<sup>40</sup>

ويخلص التليلي إلى أنّ هذا القسم هو بلا نزاع إسهام جدّ نفيس فيه عبرة للمعتبر، كما يسهم في إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية وفي تصحيحها على أقلّ تقدير، وذلك فيما يخصّ ثلاث مسائل أساسية في تاريخ تونس المعاصرة:

أولا: ملف الصّلات بين القومية والنقابية في تونس في ما بعد الحرب الكبرى الأولى (1919- 1925)، بالنظر إلى وثائق المذكرات التي تبين خطر استخدام وثائق الأرشيفات الرسمية بدون بحث تاريخي.

ثانيا: ملف العلاقات بين الدستور وبين حزب الإصلاح التونسي لأعوام 1921-1925 بنشر محاضر اجتماعات اللجنة التنفيذية الخاصة بهذه المسألة.

ثالثا: ملف شروط تكوين وتطوير الحزب الحرّ الدستوري التونسي ما بين (1919 و1925).<sup>41</sup>

الجزء الثاني: وهو يؤرّخ للفترة من 1925 إلى 1954، فقد تحدّث فيه عن كفاح الشعب الجزائري وعزّة نفسه، وتعشقه للحرية منذ غابر العصور، ومحاربه لضيم الغزاة المستعمرين، مقدّما أرواح الشهداء الزكية ليرى نفسه حرّا سعيدا، فقال في وصفه للشعب الجزائري: " لقد رأيته رأي العين ... لا يفكر في اللّقة، بل يفكر في القمّة، لا يريد الجرد، بل يريد الحرية والمجد، لا يرضى سكن القبور، بل يتطلّع لميراث القصور ... فما هي إلّا سنوات قليلة، حتى رأيناه يهبّ عاصفة هوجاء طاغية، تحطّم الاستعمار كلّ، وتحقق المجد، وتسكنه القصور، تحت رايات الحرية الحمراء والاستقلال العزيز".<sup>42</sup> ويتعرّض لبطولات هذا الشعب في ليالي

قسنطينة الزاهرة برجالها الميامين كعبد الحميد بن باديس ومبارك الميلي، ومن لفّ لفّهما، وفي تلمسان الغناء حديقة التاريخ وواحة الأدب، وفي وهران التي خالها الاستعمار مدينة ميتة ومقبرة للأحياء، فإذا بها مدينة الحياة، تذاكر علنا في جلسات عامة حول أقرب الطرق التي يجب على الشعب أن يسلكها ليصل إلى أهدافه. كما وصفه في الجزائر العاصمة بأنّه الشعب الذي يسير على سّنة أسلافه، لا خلف تلك الأقلية من دعاة الهزيمة، أنصار الاستعمار التي أرادت أن تدفع به إلى الاندماج والتفرنس، فتصدّى لها من خلال تمسّكه بالثالث المقدّس: الإسلام عقيدة والعروبة لغة والوطنية الأصلية لحمّة.<sup>43</sup>

ويعتبر المؤلّف تأسيس نادي الترقّي سنة 1927 بداية النهضة العملاقة في الجزائر، ويصف كلّ ما يتعلّق به وصفا دقيقا، ينقل فيه القارئ إلى قلب الأحداث بما يشعره أنّه كان يشارك في أعمال التّادي، ثمّ ينتقل إلى احتفال الاستعمار بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930، وكيف ردّ الشعب الجزائري على ذلك بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، للدفاع عن المقوّمات الشخصية للجزائريين بوسائل مختلفة، ومن ذلك تأسيس ونشر الصحف الإسلامية الوطنية، التي تتكلّم باسم الأمة، وتحمل شعورها وتبث اليقين بين صفوف أبنائها.

وسيستمرّ تصاعد تيار الوطنية من هاتيك الفترة، حيث يصف المدني الحركات الوطنية كحزب الشعب، الذي تحوّل إلى حركة انتصار الحريّات الديمقراطية بقيادة مصالي الحاج، وحزب البيان الجزائري مع فرحات عباس، وجمعية العلماء مع شيوخها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والمؤتمر الإسلامي وشبابه مع الأمين العمودي، والجهة التي ضمّت كلّ التيارات السياسية الجزائرية كجهة للدفاع عن الحرية.

ثم يذكر شيئا ممّا كان يكتبه في مجلة الشهاب من أوّل أعدادها إلى آخرها، ومن ذلك صرخته في وجه الإدارة الاستعمارية ودعاة الفرنسة والاندماج، بقوله: "إنّ هذه الأمّة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمّة بعيدة عن فرنسا كلّ البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي دينها. لا تريد أن تندمج، ولها وطن معيّن هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة".<sup>44</sup>

ويواصل الحديث عن مسيرته النضالية، بما أنتجه من كتب خدمة للعروبة والإسلام والوطنية الجزائرية إلى قيام الحرب العالمية الثانية، التي زجّ بالجزائريين فيها ظلما وقهرا، حتّى إذا

وضعت هذه الحرب أوزارها اتضح نفاق الاستعمار الفرنسي، الذي كافأ مساعدة الشعب الجزائري لفرنسا بتلك المجازر الرهيبة، التي حدثت في 8 ماي من سنة 1945، والتي راح ضحيتها خمسة وأربعين ألف شهيد جزائري، بدون رحمة ولا شفقة ولا تمييز، ومن يومها أدرك الجزائريون وتيقنوا أن لا منجى لهم من مخالف الاستعمار إلاّ بحرب ضروس، تفتح باب الحياة في الجنة لمن يموت من الشهداء الأبرار، وتعيد الطريق نحو فجر الحرية لمن يعيش من الجزائريين ليرى ذلك الغد المشرق حرّاً سعيداً.<sup>45</sup>

وجملة القول: إنّ الجزء الثاني من مذكرات أحمد توفيق المدني يقدم لنا فيها التيار الإصلاحي المحافظ، ويعرفنا بأهمّ رجاله ومشايخه، ويطلعنا على ثورة هؤلاء ضدّ التفرس ودعائه، ووقوفهم في وجه مخططات التجنيس، في سبيل الإسلام والعروبة والوطنية. ويسلط المؤلف الضوء على العلاقة بين الإصلاحيين ودعاة الإدماج، ويسوق إلينا أخبار النشاط السياسي الذي قامت به الحركة الوطنية في نجم شمال إفريقيا وفي حزب الشعب لاحقاً، وما قامت به جمعية العلماء، وآثرها بعد الاحتفال المنوي الجارح، كما يخبرنا عن دور شخصية الأمين العمودي في المؤتمر الإسلامي الجزائري، وتفاصيل سياسية أخرى تتصل بباقي أحزاب الحركة الوطنية، ويقدم لنا صورة عن واقع اليهود في الجزائر خلال هذه الفترة، ويستوقفه ذلك الحادث المهول المتمثل في مجازر 8 ماي 1945، الذي كان أفظع صفحات الاستعمار الفرنسي في كلّ عصر وفي كلّ مصر، فيصف لنا ما سمعه وما شاهده عن هذه الوقائع المخجلة. ولم ينسَ الحديث عن وطنه الجريح، من تخصيص مجال معتبر للحديث عن أهمّ الأحداث التي كانت تقع حينئذ على الساحة العربية، في كلّ من المغرب وتونس وليبيا ومصر وسوريا وفلسطين، وعلاوة على ذلك يخبرنا عن الجهاد في الهند ضد الاستعمار الإنجليزي.

الجزء الثالث: إنّ المؤلف يؤرّخ في هذا الجزء للفترة الممتدة ما بين 1954 و1962، أي لتاريخ الثورة وقد عنوانه بـ: "مع ركب الثورة التحريرية"، فقسّمه إلى أربعة أقسام، تحدّث في قسمه الأوّل عن ركب الثورة بالعاصمة، فكشف لنا النقاب عن موقف جمعية العلماء من الثورة وعن ذلك البيان الحاسم<sup>46</sup>، الذي أصدرته خلال مؤتمرها السنوي في 7 يناير من سنة 1956، الذي عبّر فيه العلماء بشكل جماعي عن تأييدهم للثورة وانضمامهم إليها، ورغم القيود التي مارسها الإدارة الاستعمارية، استمرت البصائر منذ اليوم الأوّل للثورة تكتب عنها بعناوين نارية فيها ما فيها من الدلالات، كان أحمد توفيق المدني يحرّر افتتاحيتها، ومنها على سبيل المثال

لا الحصر العناوين التالية: "أليس فيكم رجل رشيد"<sup>47</sup> و"لا رجوع إلى الوراء"<sup>48</sup>، ثم "نحن لا نطلب صدقة بل نريد حقاً".<sup>49</sup>

وفي القسم الثاني الذي كتبه تحت عنوان: "في العالم العربي"، فقد استهلّه بالحديث عن التحاقه بالوفد الخارجي، وتطوافه بمكتب المغرب العربي بالقاهرة، الذي كان يترأس مكتبه السياسي محمد خيضر، أمّا مكتبه العسكري فكان يترأسه أحمد بن بلّة، واستقرّ به المقام بمقرّ جمعية العلماء بالقاهرة، وفي غرفة البشير الإبراهيمي بالذات.<sup>50</sup> كما تحدث عن اجتماعات الوفد الخارجي، وما كان يعقبه من مؤتمرات صحفية بالقاهرة، وعن مقابلاته لعدد من القادة العرب خلال تحركاته وجولاته التي ساقته إلى البلاد العربية، وخطبه ومنها خطابه للمجاهدين الجزائريين من صوت العرب بعد إلقاء القبض على قادة الثورة الخمس في أشهر قرصنة جويّة تقوم بها الدولة الفرنسية، وقد اعتبر المدني عملية اختطاف الطائرة خديعة وخيانة لم يرو التاريخ لهما مثيلاً<sup>51</sup>، وخطابه الملتهب المطوّل أمام جامعة الدول العربية يوم 3 نوفمبر سنة 1957، الذي حثّ فيه العرب وجامعتهم على القيام بواجبهم الماديّ نحو الجزائر في جهادها وحملهم مسؤولية نتيجة المعركة مع المستعمر<sup>52</sup>، وخطابه أمام الشعوب الأفروآسيوية في ثالث أسبوع من ديسمبر في نفس السنة بالقاهرة<sup>53</sup>. ويصف لنا أبرز أحداث الثورة، والمساعدات المادية والمالية من بعض الدول العربية والإسلامية لتموين الثورة بما تحتاجه لمواجهة العدو. وختم هذا القسم بحديثه عن الشهيد عبّان رمضان.<sup>54</sup>

أمّا القسم الثالث، فقد ضمّنه حديثاً مسهباً عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وعن الرحلة العربية الكبرى، وعن رحلته إلى الصين الشعبية وموسكو، وعن وزارة الشؤون الثقافية التي تولّى قيادتها، وما قامت به خلال أربعة عشر شهراً (من أكتوبر 1958 إلى آخر نوفمبر 1959)، في تقرير مفصّل قدّمه إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية<sup>55</sup> ختم به هذا القسم، ومما جاء فيه التقرير عن دراسة الشبّان الجزائريين التابعين للوزارة في المشرق العربي، وشمال إفريقيا، والبلاد الغربية، وأوروبا الشرقية.

وفي القسم الرابع خصّ الحديث عن التمثيل الدائم بجامعة الدول العربية، وسفارة الجزائر بالجمهورية العربية المتحدة، وقد عرض فيه مسائل وقضايا سياسية بارزة، ومنها تونس والحدود وقضية بنزرت<sup>56</sup>، والمراحل المختلفة للمفاوضات بين الجزائر وفرنسا، ثم الاستقلال والحرية، وانضمام الجزائر لجامعة الدول العربية، وينتهي به المطاف إلى الحديث عن استقدامه للجزائر - بعد

أن كان سفيرا للجزائر ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية- لتولي منصب وزير الأوقاف والشؤون الدينية، يوم 28 سبتمبر من سنة 1962، بدعوة من الرئيس أحمد بن بلة.<sup>57</sup>

والجدير بالذكر أنّ الجزء الثالث والأخير من مذكرات حياة كفاح، يعرض لنا صاحبها الموقف الجماعي لجمعية العلماء من الثورة، ويبرز دور مجلة البصائر في فضح خطط الاستعمار والتصدي لها بلا هوادة، ويصف لنا محطات وأحداث بارزة في تاريخ الثورة، ومنها مؤتمر الصومام، لجنة التنسيق والتنفيذ، المعمدون بالمقصلة في الجزائر، ساقية سيدي يوسف، الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، التفجير النووي الفرنسي في الجزائر، ومراحل المفاوضات بين الجزائر وفرنسا.

ويتنقل المؤلف للحديث عن تطور القضية الجزائرية من المحلية والإقليمية إلى بحر عالمية، بداية من مؤتمر باندونغ، ثم الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة، وأخيرا المؤتمر الإسلام. ولم يفوت فرصة إخبارنا على بعض الصعاب التي واجهتها الثورة، فيما أسماه بـ"النكبات" ومنها نكبة القبض على القادة الخمس، ونكبة حجز السفينة أتوس في ناحية وهران. ومثلما فعل في الجزء الثالث فهو يخصص فضاء للحديث عن بعض القضايا العربية التي كانت تطفو على الساحة السياسية، ومنها حديثه عن تفاصيل تشييد السد العالي، وتأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس، والعدوان الثلاثي الفرنسي-البريطاني والإسرائيلي على مصر، كما يخبرنا عن مشروع ثورة في "دارفور" ضد الاحتلال الفرنسي، الذي ضمّ بلادهم إلى مستعمرة تشاد.

وللإشارة فإنّ الجزأين الثاني والثالث يعتبران مصدرا في غاية الأهمية لجزائر ما بعد الحرب العالية الأولى إلى نهاية الثورة التحريرية الكبرى، ومن ثمّ فإنّ الرجوع إلى هذين الجزأين لفهم مجريات الأحداث في الجزائر خلال هذه الفترة يعتبر أكثر من ضرورة، نظرا لما ورد في الجزأين من شهادات حيّة رآها صاحب التأليف أو سمعها من أولئك الذين ارتبطوا بالأحداث عن كثب، فضلا عن الوثائق الرسمية التي استخدمها في كتابته للأحداث التي نقلها إلينا، مهتلا فرصة وجوده في الوفد الخارجي، التي مكنته من الانفراد بكم ضخمة من وثائق الثورة الجزائرية في الخارج، فهو بهذا يضيف إلى معلوماتنا الشيء الكثير عن تاريخ الثورة، ممّا يساعد المؤرخ على رسم صورة واضحة تكمل بعض الفراغات التي لم يتحدث عنها في المصادر الأخرى، التي كتبت عن الثورة الجزائرية، ومن أبرز الوثائق التي انفرد بها صاحب التأليف النداءات والبيانات والقرارات ومحاضر الاجتماعات والندوات الصحفية والمقابلات

مع الملوك والرؤساء، وما سجله من خطابات وما كتبه أو وصله من رسائل، علاوة على التقارير والمذكرات والمهمّات التي كان يقوم بها في إطار الوفد الخارجي الجزائري بالقاهرة.

وفي الأخير نشير إلى أن ما قد يعاب على أحمد توفيق المدني هو حديثه عن نفسه ذكره لنشاطاته السياسية والفكرية التي قام بها باستمرار أثناء مذكراته، والواقع أنّ ذلك لا يعتبر نقیصة بقدر ما يعدّ من متطلّبات هذا اللون من الكتابة التاريخية المعروفة بالمذكرات، ومن ثم فإنّ لهذا الأمر ما بهرّه، فترى صاحب المذكرات يأخذ حيزا كبيرا في مؤلّفه هذا وحجما معتبرا من الصفحات بالنظر إلى الحديث عن دوره المحوري كرجل سياسي ومفكر وكاتب وأديب وعلاقته بالأحداث سواء أكان ذلك من قريب أو من بعيد.

خاتمة: إنّ الواجب يحتّم علينا في ختام مداخلتنا هذه، أن ننوّه ونشيد إجلالا وإكبارا بما قام به هذا الرجل، في جوانب متعدّدة منها فصاحة الخطابة، وكياسة السياسة، وسبق الإعلام، وتمييز الكتابة التاريخية بالحرص على صحّة الخبر وأصالة الوثيقة، وهو ما يجعلنا تفاعل خيرا بتناول شخصيته بدراسة معمّقة ومفصّلة من خلال الدراسات الأكاديمية المستقبلية اعترافا بما قدّمه لهذا الوطن، الذي عاش به وله إلى أن فارق الحياة بين أحضانه.

#### الهوامش:

- 1- أحمد توفيق المدني- حياة كفاح ( مذكرات )- دار البصائر- الجزائر- 2009- ج1- ص33.
- 2- المصدر نفسه- ج1- ص95-96.
- 3- نفسه- ج3- ص130-145.
- 4- محمد إسلام نجل أحمد توفيق المدني- مقدّمة آثار الأستاذ أحمد توفيق المدني - المصدر السابق- ج1- ص13.
- 5- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج1- ص439-442.
- 6- المصدر نفسه- ج2- ص224-227.
- 7- نفسه- ج2- ص287-291.
- 8- أحمد توفيق المدني- كتاب الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2- 1984- ص2.
- 9- أحمد توفيق المدني- هذه هي الجزائر- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- 1956- ص7.
- 10- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج2- ص382-388.
- 11- أحمد توفيق المدني- المسلمون في عقليّة وجنوب إيطاليا- وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية- 2007- ص6. وقد صدرت طبعته الأولى سنة 1945 عن مكتبة الاستقامة بتونس.
- 12- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج2- ص548-549.
- 13- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر- تحقيق أحمد توفيق المدني- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1980- ط2- ص5.
- 14- محمد إسلام- المصدر نفسه- ج1- ص13.
- 15- أحمد توفيق المدني- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا- (1492-1792)- دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر- 2007- ط1- ص5.
- 16- محمد إسلام- المصدر السابق- ج1- ص17.
- 17- نفسه- ج1- ص18.
- 18- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج1- ص94.
- 19- المصدر نفسه- ج2- ص529.
- 20- نفسه- ج2- ص94.
- 21- أحمد توفيق المدني- كتب جديدة ( حياة كفاح )- مجلة الأصالة- العدد55/54- السنة السابعة- 1398 هـ- 1978 م- ص93.

- 22- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج3- ص102.
- 23- أحمد توفيق المدني- ظلمات بعضها فوق بعض- جريدة البصائر- العدد 321 الصادر يوم 3 جوان 1955. وفي المصدر نفسه- ج3- ص112-115. وهذا العنوان مقطع من الآية 40 من سورة النور.
- 24- أحمد توفيق المدني- أليس فيكم رجل رشيد؟- جريدة البصائر- العدد 327 الصادر يوم 15 جويلية 1955. وفي مذكراته: ج3- ص115-119. وهذا العنوان مقطع من الآية 78 من سورة هود.
- 25- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج1- ص200.
- 26- المصدر نفسه- ج2- ص280-287.
- 27- نفسه، ج1- ص311. والحديث كاملا عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (( أنصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً )) فقال رجل: يا رسول الله، أنصُرهُ إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصُرهُ ؟ قال: (( تحبهُ - أو تمنعهُ - من الظلم فإن ذلك نصرة )) رواه البخاري. أنظر: النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين- دار الفكر - بيروت - 1421هـ-2000م- ط3- ص60.
- 28- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج2- ص530-السطر 10- وص531-السطر 15.
- 29- المصدر نفسه- ج3- ص461.
- 30- نفسه- ج2- ص89.
- 31- أحمد توفيق المدني- المقال السابق في مجلة الأصالة- ص91.
- 32- المقال نفسه- ص93.
- 33- نفسه- ص95.
- 34- آزاد المجلس البلدي بتونس تسجيل مقبرة الزلاج، ودعا إليه عائلة التونسيين، وعُثِرَ يوم 7 نوفمبر من سنة 1910 موعدا لإتمام العمل، وقد اخترعت الإدارة الفرنسية هذا التسجيل لفرنسة الأرض الزراعية التونسية، فكان الرفض التونسي الذي قوبل بالعلف الاستعماري. ينظر تفاصيل ذلك لدى أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج1- ص70-76.
- 35- أحمد توفيق المدني- نفس المقال والصفحة.
- 36- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج1- ص242-246.
- 37- أقلت السلطة الفرنسية القبض على عبد العزيز الثعالبي باريس بدعوى التأثير عليها، وأوعزوا إلى صحفي مصري عمل بتونس مدة الحاقق التهمة بالشيخ: فزج به مقيدا في نكبة عسكرية، وبعد اطلاع التونسيين على كتاب " تونس الشهيدة "، ظهرت أقلية خشيت من نشر ذلك صراحة وتبرأت من الكتاب ومن الثعالبي. ينظر تفاصيل ذلك في حياة كفاف- ج1- ص229-235.
- 38- المصدر نفسه- ج1- ص246-247.
- 39- أحمد توفيق المدني- نفس المقال في مجلة الأصالة- ص96.
- 40- بشرى التلي- حول مذكرات: حياة كفاف- تعريب محمد بلقراق- في مجلة الأصالة- نفس العدد والسنة- ص105 نقلا عن مجلة الصحائف التونسية- كلية العلوم الاجتماعية- العدد 97-98.
- 41- المرجع نفسه- ص106.
- 42- أحمد توفيق المدني- المقال نفسه- ص98.
- 43- الواقع أنَّ شعار ( الإسلام ديننا- العربية لغتنا- والجزائر وطننا ) ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس من قبل معظم المعاصرين له. ينظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس- جريدة البصائر- السنة الثانية- العدد 83- الصادر في 30 سبتمبر 1937- ص1. تركي رايح- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر- ط5 مزينة ومنقحة- المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار- الجزائر- 1422هـ/2001م- ص247. ينظر أيضا: تركي رايح- الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر(1925-1939) دورها في نهضة الجزائر الحديثة- في مجلة الثقافة- السنة الرابعة عشرة- عدد 81- 1404هـ-1984م- ص193.
- 44- أحمد توفيق المدني- المصدر السابق- ج2- ص102-103. ينظر أيضا: بتمام العسلي- الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية- ط1- دار النفائس- بيروت- 1402هـ/1982م- ص84. تركي رايح- مقاله السابق في الشهاب- ص203. الشهاب- عدد فبراير 1930.
- 45- أحمد توفيق المدني، المقال السابق، ص101-102.
- 46- نشر هذا البيان في العدد 350 من جريدة البصائر وطبع منه 35000 نسخة وصلت أيدي الناس جلها إلا 3000 نسخة تمكنت حكومة الاحتلال من مصادرتها. وقد أعاد أحمد توفيق المدني نشر هذا البيان بكامله في مذكراته. ينظر: ج3- ص56-58.
- 47- جريدة البصائر- العدد 327 الصادر يوم 15 جويلية 1955. وفي المصدر نفسه- ج3- ص115-119.
- 48- جريدة البصائر- العدد 332 الصادر يوم 9 سبتمبر 1955. نفسه- ج3- ص119-121.
- 49- جريدة البصائر- العدد 330. نفسه- ج3- ص123-127.
- 50- نفسه- ج3- ص172.
- 51- نفسه- ج3- ص316-318.
- 52- نفسه- ج3- ص478-484.
- 53- نفسه- ج3- ص473-476.
- 54- نفسه- ج3- ص575-576.
- 55- نفسه- ج3- ص685-727.
- 56- افعل الرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1959 قضية مراجعة الحدود التونسية مع الجزائر وليبيا، ليفوز ببعض آبار البترول الجزائري في الجنوب، وتلاشت دعوته هذه أمام صلابة الجزائريين، وتكررت هذه الدعوة في حوادث بنزت سنة 1961 التي راح حصبها حوالي ستة آلاف قبيل أهزل، جعلت تونس تطالب مجلس الجامعة العربية بقرار بريد تونس في استرجاع أراضيها شمال البلاد وجنوبها، وبعد إلحاح الجزائر بأنها لن تتصامع مع أيّ عمل على ترابها، ولو كان شقيقا أو صديقا، تراجع التونسيون عن مطالبهم. ينظر: المصدر نفسه- ج3- ص734-736.
- 57- نفسه- ج3- ص844-849.